(المبشرات بالنصر)

الحمد لله رب العالمين ، سبحانه غافر الذنب وقابل التوب ، لاإله غيره ولا معبود سواه ، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره...ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وعد بالنصر عباد المؤمنين فقال : (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) ووعد بالهداية عباده المجاهدين فقال : (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله القائل : (بَدَأَ الإِسلامُ غريبًا ثم يعودُ غريبًا كَمَا بَدَأَ فطوبَى لِلْغُرَبَاءِ) قيل يا رسولَ اللهِ ومنِ الغُرَبَاءُ ؟ قال : (الَّذينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ الناسُ) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم أجمعين ، وبعد فيقول الله تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) .

أيها المسلمون : إن الناظر فى أحوال المسلمين اليوم على خريطة العالم يراهم يعانون معاناة متفاوتة مابين الاضهاد الذى يصل إلى حد الإبادة الجماعية أو التضييق عليهم فى ممارسة العبادة ، فتعيش الأقليات المسلمة اليوم فى أوروبا وأمريكا واستراليا وآسيا وأفريقيا أوضاعا سيئة على جميع المستويات الثقافية والاقتصادية والاجتماعية فضلا عن كل أنواع الحرمان كالقتل والحصار والتجويع والتشريد والإقصاء ، فالعداء لكل ماهو إسلامي اليوم على خريطة العالم حتى الدول العربية أصبحت تعيش هذه المأساة فهل هذا يدعو إلى التشاؤم واليأس ؟ الإجابة فى قول الله تعالى : (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ) نعم (وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ)

فالأمة المسلمة اليوم فى حاجة أن تتذكر حياة الأولين من المهاجرين والأنصارلأنهم القدوة والأسوة...فقد تحملوا الكثيرمن الأذى والصبر حتى نشروا هذا الدين ، فحياتنا اليوم تشبه حياة المسلمين الأولين غير أن الفارق الذى بيننا وبينهم أنهم متفائلون ونحن متشائمون وأن عوامل اليأس ومشاعر الإحباط تغلب على البعض منا وهم ليسوا كذلك ، ويرجع ذلك إلى الضربات المتلاحقة التي توجه بخبث ومكر من أعداء الإسلام إلى الدين وأهله يريدون إطفاء نور الإسلام وهذا مستحيل...نقول : نعم مستحيل لماذا ؟ هل يستطيع إنسان أن يطفئ ضوء الشمس بنفخة من فمه ؟ الجواب : لن يستطيع ، فإذا كان ضوء الشمس لايطفأ بنفخة من فم الإنسان ، فكذلك نور الله الذي ملأ السماوات والأرض لن يطفئه كيد أعداء الله !! لأن الله وعد بتمامه فقال : (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)

فكثير منا نحن معشر المسلمين يشيع فينا تصور مغلوط أو مخيف عن مستقبل هذه الأمة حيث نرسمه في أذهاننا أسودا حالكاً ، ونرى طريقه ضيقاً مغلقاً بينما لو أمعنا النظر في المفهوم القرآني لمسار التاريخ وأحداثه عموماً نجده مفهوماً متفائلاً مبشراً واعداً مهما اشتدت المحن وساءت الظنون ، ونحن مأمورون شرعاً أن نبشر ولا ننفر وأن نيسر ولا نعسر لقوله صلى الله عليه وسلم : (بشروا ولا تنفروا ، ويسروا ولا تعسروا) خ/م ومن أمثلة ذلك :

• لقد بشر القرآن الكريم المسلمين - وهم أضعف مايكونون - بالتمكين فى الأرض والنصر على أعدائهم فتحقق وعد الله فى حياته صلى الله عليه وسلم ، وفى حياة الصحابة عندما انطلقوا فى كل مكان : ففتحوا الشام ، ومصر والأندلس وغيرها ، ثم تأسّى بالصحابة واقتدى بهم التابعون ، والمجاهدون ، والعلماء فى كل عصر ، فارتفعت راية الإسلام عالية خفاقة على ممالك كسرى ، وقيصر ، وآسيا ، وأفريقيا ، والهند ، والصين ، والشرق والغرب...

فمبشرات الخير والنصر والتمكين لهذه الأمة كثيرة من القرآن الكريم ، ومن السنة النبوية ، ومن التاريخ والواقع :

أولا : بشائر النصر من القرآن الكريم

فالقرآن الكريم ملئ بالمبشرات فلا تخلو سورة تقريبا من المبشرات ونذكر بعض الأمثلة :

ففي سورة النور : (وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) 55 وهذا الوعد الإلهي دائم ومستمر وليس لزمن دون آخر إذا تحققت فينا الشروط ، فإذا تأخر النصر والتمكين فإنه يرجع إلى تفرق المسلمين وتنازعهم وقد نهاهم الله عن ذلك .

ثانيا : بشائر النصر من السنة النبوية

فقد روى مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال : (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن ملك أمتي ...) ويقول : (ليبلغن هذا الأمرما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مَدَر ولا وَبَر إلا أدخله الله هذا الدين ...)

ثالثا : بقاء الطائفة المؤمنة المنصورة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس) وقد بشرهم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك فقال : (من تمسك بسنتى عند فساد أمتى كان له أجرشهيد) ويقول (من تمسك بسنتى عند فساد أمتى كان له أجرمائة شهيد)

رابعا : بشائر النصر من التاريخ

1- في الحروب الصليبية : زحفت أوروبا بكل مدنييها وعسكرييها إلى بلاد المشرق المسلم فاحتلوها ، وبقي الصليبيون في بلاد الشام مائتي عام ، وبقي بيت المقدس في أيديهم تسعين سنة كاملة ثم هيأ الله للأمة رجالاً أمثال : نورالدين زنكي والقائد المظفر صلاح الدين الأيوبي ، فأزال الله بهم الغمة ، وأتم للأمة الفضل والنعمة .

2- في حروب التتار : قدموا من الشرق كالريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، فهدموا المدن وقتلوا البشر ، واستسلم الناس للموت أفواجاً ، ولكن لم تمض سنوات حتى انتصر الإسلام عليهم مرتين : أولا : إنتصر عليهم عسكرياً فانهزموا في معركة عين جالوت ، وقد انتصر عليهم مرة أخرى حينما دخلوا فى الإسلام وصاروا دعاة له ، وعنه مدافعين ...وفى العصر الحديث ترى أمثلة كثيرة فصراع الإسلام مع الشيوعية في الإتحاد السوفيتي السابق معروف للجميع فقد سعت الشيوعية بكل ما أوتيت من قوة أن تكون البديل للإسلام ، ولكن الذي حدث هو العكس : إنهيار كامل للشيوعية وظهور قوي للإسلام في بلاد الشيوعية ، فالإسلام ينمو وينتشر عندما يُؤذى ويُساء إليه ، والقارئ لتاريخ المسلمين يرى أن الأمة الإسلامية كالشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء لاتهزها الرياح ولاتقتلعها العواصف ، كلما قُطِعَ منها غصن قويت واشتدت وأخرجت أغصانا ، فالأمة الإسلامية حالياً أمة متعثرة وليست ميتة ، قد تنام أو تتراجع لكنها لن تموت إن شاء الله ما دام يجري في عروق أبنائها دم العقيدة الصافية ، وهذا الكيد الذي تزول منه الجبال سيتلاشى إن أطاعت ربها وصبرت كما قال تعالى : (لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرً...) فالكرة حاليا في ملعبنا إذا أردنا نصرالله : علينا بتقوى الله والصبر عندئذ سيكون الطريق إلى النصر سالك ، أما إذا عصينا الله فالطريق إلى القبر سالك ، فالطاعة والصبر طريق النصر والمعصية والجزع طريق القبر فنحن في هذه الأيام في أمسّ الحاجة إلى التوحيد الذى يملأ قلوبنا ثقة بالله وتفاؤلاً ، لأن الله لن يتخلى عنا كما قال تعالى : (وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين) فمن أسماء الله العدل ، وأسماء الله كلها محققة في الدنيا إلا اسم العدل فهومحقّق جزئياً لماذا ؟ لأن الله لو أجراه ما ترك على ظهر الأرض من دابة ، فما نراه يوميا من صورللظلم تجعلك تقول : أين الله لينتقم من هؤلاء الظالمين ؟ نقول :نحن في دار ابتلاء وليس فى دار الجزاء وما من مؤمن إلا وسيَرِد النار قال تعالى : (وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا) وورود النار ليس دخولها ، ولكنه سيرى عدل الله فيها ، سيرى هؤلاء الذين طغوا وبغوا ، عندئذٍ يقول : لا إله إلا أنت سبحانك...هذا هو القصاص .

ومن سنن الله عز وجل أنه يقوي الظالم نعم يقويه حتى يملي أوامره على كل الشعوب ، ولكن الظالم يخشى شيئا واحدا كما صرح بذلك رجل كبير في دولة عظمى فقال : ماذا نفعل بحاملات الطائرات وبالصواريخ العابرة للقارات وبالقنابل النووية أمام إنسان يريد أن يموت...هذا الذى يقلقنا ؟ فالقوى الكبرى لاتستطيع أن تقاوم أفرادًا أرادوا الموت من أجل دينهم ، فواهم من يقول : إن السلاح والقوة هو الذى يبني الأمم ، الذى يبنى الأمم التقوى والتوكل على الله ثم الدعاء فالدعاء وحده بدون إعداد العدة إستهزاء بالله ألق حبة في الأرض ثم توكل على الله فالنصر له ثمن والثمن ليس سهلاً وليس مستحيلاً ولن يكلفنا الله مالانطيق لايطالبنا بالعدة المتكافئة بل المتاحة قال تعالى : (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَااسْتَطَعْتُمْ) أنا حينما أعد العدة يتكفل الله لي بالنصر ، أما أن لانفعل شيئاً ولانستقيم على أمر الله ، عندئذٍ لانستحق النصر ولوبلغ دعاؤنا عنان السماء ، سيدنا عمر رأى رجلا يقود جملا أجرب فقال له : يا أخا العرب : ماذا تفعل في هذا الجمل الأجرب ؟ قال : أدعو الله أن يشفيه فقال له : هلاّ جعلت مع الدعاء قطراناً فاستبشروا معشرالمسلمين بنصر ربكم فنصر الله قريب ، وعنه صلى الله عليه وسلم قال : (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) .